

يقف  
للشاعر...

بيار ابي صعب

هل كان نشر مقالة سعدي يوسف في هجاء برهان غليون («الأخبار» 12/9) قراراً متهوراً؟ صحيح أن المقالة النارية، تقف على حدود المقبول به عادة في النقد والسجال، وأن كثيرين يمتنعون عن كتابة هذا الكلام، وإن كانوا يفكرونه. صحيح أيضاً أن الصحافي يفترض به أن يتثبت مما يقدمه من معلومات، متفادياً التشهير والتهامات غير المسندة، لكن الكاتب هنا ليس صحافياً يقدم معلومة باردة، بل شاعر يطلق صرخة مجروحة. هل كان المطلوب أن نمارس على سعدي يوسف رقابة لم نمارسها على الآخرين؟ ها هم أنصار الحرية يطالبون بمصادرتها إذاً، والمتعاطفون الانتقائيون مع الثورات لا يرون مانعاً من ممارسة القمع الانتقائي أيضاً. ليس الإسفاف دائماً حيث نعتقد. كثيرون مثلاً يعتبرون أن ذروة الفجور هي أن يدافع موظفو الإعلام السعودي والحرييري عن حرية الشعب السوري، وقد نشرت «الأخبار» بيانهم في صدارة صفحاتها. سعدي يوسف أحد أكبر الشعراء الأحياء، ولا يمكن التعامل مع ما يكتبه بحياد، وخصوصاً في هذه اللحظة التي تحتاج إلى من يجروء على قولها.

نص سعدي ينتمي إلى تقليد عريق في الأدب السياسي، من الشعر العربي إلى فيكتور هوغو، الذي نذكر جيداً تقديعه لـ «نابليون الصغير». موقف الشاعر الحاد والنافر يهيم الرأي العام، ويستحق التوقّف عنده، لأنه يسلط أضواءً خاصة على المرحلة المضطربة.

ليعذره أنصار «اللائق سياسياً» إن لم يكن لائقاً مع الرجل الذي يحلم نفسه فانتسلاف هافيل، فيما هو لا يرقى إلى أحمد الشلبي. سعدي يوسف شاعر عراقي مذبح، رأى جيداً ما حدث لبلده، وربما لم يسامح نفسه لأنه تخيل اللحظة أن الاستعمار الغربي قد يجرح شعبه من الطاغية. لم يفت الأوان كي نتعلم من جراحه.

تحقيق

## ذاكرة عريقة في قلب الدوامة

بحثاً عن أنطون تشيخوف، في دمشق

الدوامة التي تلت سوريا منذ تسعة أشهر، انعكست انعكاساً مباشراً على سوق الكتاب، وعلى عادات أهل المهنة. باعة الأرصفة لا يجدون من يشتري بضاعتهم، وأصحاب المكتبات يعرضونها للاستثمار التجاري

دهشقة - أنس زرزق

في كانون الثاني (يناير) 2010، أغلقت مكتبة «ميسلون» الدمشقية أبوابها أمام الزبائن. عرضها أصحابها للاستثمار التجاري، بعدما كانت أحد أهم منابر الفكر اليساري والتنويري في سوريا طوال أربعة عقود. لم تكن المكتبة العربية الأولى التي تلقى هذا المصير. سبقتها مكتبات كثيرة، تحولت إلى متاجر، أو محال لبيع الوجبات السريعة، أو فروع لمصارف تجارية خاصة غزت السوق السورية.

كانت «ميسلون» و«ميسلون» و«رادوغا» و«التقدم» السوفياتيتين، ولاشرطة الشيخ إمام، وزياد الرحباني، ومارسيل خليفة، وخالد الهبر... لم يصدق المثقفون اليساريون وقتها نهاية قلوبهم، فوجدوا كتبهم المفضلة تباع في مكتبات الرصيف. هذا ما أكد لنا بلال حسين الذي يتردد بشكل شبه يومي على بسطات الكتب المستعملة المعروضة على أرصفة العاصمة السورية: «قلة من الأصدقاء كانت تمتلك الأجزاء الأربعة للأعمال المختارة لأنطون تشيخوف (طبعة «دار رادوغا» السوفياتية) لارتفاع

ثمنها. لكن قبل العام، اشترت نسخة منها بمبلغ 500 ليرة سورية (حوالي 10 دولارات أميركية) وعليها ختم مكتبة «ميسلون» وعلامتها». بعد إقفال «ميسلون»، كزت السبحة... لم يمض وقت طويل حتى أقفلت مكتبة «الزهراء» أيضاً، وأخذ مكانها فرع لمصرف تجاري خاص. وبدورهم، وضع أصحاب مكتبة «النهضة العربية» الواقعة بالقرب من فندق «سميرا ميس» لافتة تعرض واحدة من أقدم المكتبات الدمشقية للاستثمار التجاري، لتلحق بسابقاتها، مع بقاء أبوابها مفتوحة حتى الآن «الزوار والزبائن أصبحوا نادرين هذه الأيام، والمفارقة المؤلمة بحق أن بعضهم يعرض كتبه للبيع لنا بدلاً من شراء كتبنا» يقول أبو أحمد أحد أقدم بائعي الكتب في دمشق.

الإغلاق المتتالي لأشهر المكتبات الدمشقية يلخص واقع الكتاب في سوريا، وعزوف القراء والمهتمين عن شرائه. قراءة سريعة لواقع الدورة الـ 27 من «معرض دمشق الدولي للكتاب» التي افتتحت في أيلول (سبتمبر) الماضي، قد تكون كافية للإجابة عن تساؤلات عديدة حول واقع القراءة والكتاب، وحركة الطباعة والنشر في ظل واقع ثقافي

في  
الصاحبة



جديد، تأثر مثل غيره، بأحداث الانتفاضة السورية. «ربما هي السنة الأسوأ التي نشارك بها في معرض الكتاب هذا العام» يقول عماد حورية بائع الكتب في المكتبة العمومية التي شاركت في جميع دورات المعرض. ويضيف «انحسرت المبيعات هذا العام، بكتب الأبراج مثل كتاب ماغي فرح الشهير الذي بعنا منه عشرات النسخ. غامرنا هذا العام بتقديم عناوين كتب سياسية حديثة، عالجت الأزمة السورية في بعض فصولها، لكننا خسرنا الرهان، وتكدست الكتب في المستودعات».

حركة البيع لم تكن وحدها المتعثرة. انخفضت أعداد عناوين الكتب الجديدة التي تقدمها المكتبة لزبائنها بسبب الارتفاع المفاجئ لسعر الدولار. «هناك صفقات شراء أُلغيت مع دور نشر عالمية، بسبب ارتفاع سعر صرف الدولار الذي زاد النفقات علينا حوالى الثلث. وترافق

ذلك مع تراجع حركة البيع الذي بلغ ذروته مع الشهر الثاني من الأحداث السورية» يقول حورية خريج معهد الفنون المسرحية، الذي امتنح بيع الكتاب ليبقى على اتصال مع هواية القراءة. وأكد «تراجع عدد النسخ التي كانت تزودنا بها كبريات دور النشر العربية، لتخوف أصحابها من أحداث الانتفاضة السورية، وكساد سوق بيع وشراء الكتاب». في مكتبة «عالم المعرفة» المقابلة لـ «سينما سيتي»، وسط دمشق، لم تكن حركة البيع أحسن حالاً. يؤكد البائع محمد النوري انخفاض أعداد النسخ التي تطبعها الدور الدمشقية منذ بداية الأحداث. «السائد الآن هو نسخ عدد من الطباعات لا يتجاوز المئات غالباً. أما مغامرة طباعة آلاف النسخ من كتاب واحد، فقد أصبحت ضرباً من الماضي».

الأزمة غيرت الكثير من عادات تجار مكتبات الرصيف. فقد اعتادوا كل عام نقل بضاعتهم خلال أعياد

### متجر أحذية وصيدلية... وسالك

حركة إقفال المكتبات السورية بدأت قبل «ميسلون». عرضت «مكتبة اليقظة» في شارع المنبني للبيع، وتحولت «مكتبة العائلة» في ساحة النجمة إلى صيدلية. أما «مكتبة الزهراء»، فقد أصبحت في جزء منها مقهى إنترنت، فضلاً عن المكتبات التي ألت إلى محال لبيع السندويشات، أو إلى دكان أحذية، كما حصل مع مكتبة «فكر وفن» في اللاذقية.



زيارة خاصة

## مبدعو المغرب في ضيافة أحمد الكبير

مشتعلة» (2007). يعدّ الكبير من كتّاب الواقعية، يقارب الواقع المغربي المعيش، من دون فانتازيا، أو ميثولوجيا، أو تجريب... كتابته ذات خصوصية مغربية. خلفيات روايته المكانية، مدن وقرى مغربية عاش فيها، أو مدن أوروبية سافر إليها أبطاله من المهتمين. تدور أحداث الرواية المرتقبة بين باريس ومدن مغربية عدة، أثناء فترة الحماية الفرنسية على المغرب (1912 - 1956).

نسأله عن رأيه في مجال الريادة الثقافية بين المشاركة والمغاربة، فيقول: «زمن الريادات والبطولات انتهى، نحن أمام تحديات كبرى، هي كيف نتجاوز تخلفنا، وفقرنا، وأمينتنا، وأمراضنا المجتمعية، والوطن».

الأمواج بالشاطئ، وزعيق النوارس. أهم ما في هذا في المسكن، مكتبته الضخمة التي تحتوي على معظم الدوريات والكتب النقدية والروائية والتاريخية والفنية، إضافة إلى تسجيلات مسموعة ومرئية. ونظراً إلى أهمية المكان بنظر صاحبه، فقد وضع على زواره قواعد صارمة، فهو مخصص للعمل فقط، ولا يمكن اقتراض مقتنياته، وخصوصاً الكتب... كما أنّ التدخين ممنوع في داخله.

في انتظار وafd جديد، يعمل أحمد الكبير حالياً على إتمام روايته الثالثة في بيته الإبداعي. سيستكمل بذلك ثلاثيته المغربية بعد «مصباح مطفاة» (2004)، و«مقابر

سلا - محمد الأصفر

حالما تطأ قدمك مدينة الرباط المغربية، يصير الاتصال بالروائي أحمد الكبير ضرورياً. نلقاه في جلسة هادئة في الباحة الخارجية لمقهى «باليمما» الشهير، المطل على مبنى البرلمان. وبعد ارتشاف الأتاي المغربي، يقرر أن يأخذنا إلى مدينة سلا، ليطلعنا على مشروع جديد، افتتحه في شقة صغيرة... إنه بيت إبداعي، سيجعله صومعة للمبدعين الزائرين. «استلقت ثمنه، وسأمنحه لكل صديق مبدع يزور الرباط، ليكون مسكنه الشخصي، عوضاً عن الإقامة في فندق»، يخبرنا. البيت قريب من البحر. يمكن سماع ارتطام

سلا - محمد الأصفر

حالما تطأ قدمك مدينة الرباط المغربية، يصير الاتصال بالروائي أحمد الكبير ضرورياً. نلقاه في جلسة هادئة في الباحة الخارجية لمقهى «باليمما» الشهير، المطل على مبنى البرلمان. وبعد ارتشاف الأتاي المغربي، يقرر أن يأخذنا إلى مدينة سلا، ليطلعنا على مشروع جديد، افتتحه في شقة صغيرة... إنه بيت إبداعي، سيجعله صومعة للمبدعين الزائرين. «استلقت ثمنه، وسأمنحه لكل صديق مبدع يزور الرباط، ليكون مسكنه الشخصي، عوضاً عن الإقامة في فندق»، يخبرنا. البيت قريب من البحر. يمكن سماع ارتطام



أحمد الكبير